

النزاع السياسي في القصة القصيرة «معاهدة سيناء» لـ يوسف إدريس

علي بيانلو*

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٦/١/٣٠؛ تاريخ القبول: ٢٠١٦/١٢/١٤)

الملخص

«معاهدة سيناء» قصة قصيرة للكاتب المصري يوسف إدريس (١٩٢٧-١٩٩١م)، توافق أحداثها نشوب الحرب الباردة بين السوفييتية والأمبريالية. جعل هذا المناخ السياسي الساخن من القصة تطبع بطابع المذهب الواقعي في الأدب. أما «معاهدة سيناء» فيجري فيها النزاع السياسي بين الروسي (ماشنسكي) والأمريكي (وليم) في معسكر واقع في سيناء مصر بشأن تركيب قطعة الغيار الأمريكية على المكنة الروسية العاطلة، غير أن الخلاف يحسمه مصري اسمه محيي الدين بتشغيل المكنة بتركيب القطعة أمام حيرة طرفي النزاع. لذلك تهدف المقالة إلى دراسة ملامح النزاع السياسي بين ملامح المشادات الكلامية وبين التصرفات الأخلاقية التي يقوم بها الطرفان، وإلى أشكال النزاع، والتي يمكن تقسيمها إلى المعارك، والمناظرات، والمباريات. وهذه الأخيرة تنقسم أيضاً إلى المباراة الصفيرية والمباراة اللاصفيرية. والنتيجة أن المشادة الكلامية يلجأ لها الطرفان عندما يعجزان عن حسم الخلاف وذلك لصلفية الروسي؛ وأنه يأتي النزاع على أشكال المعارك للانفصال الدائم بين مواقف ماشنسكي ووليم، وعلى المناظرات في لحظات عابرة لاقترب الآراء دون أن تدوم حالة الاقتراب، وعلى المباريات الصفيرية (ريح واحد وخسارة آخر) واللاصفيرية (ريح أو خسارة لطرفين معاً) على الدوام. وأن المكاسب في المباراة لا تلتفت النظر لأن القارئ لا يرى مكسباً غالباً لصالح واحد دون آخر، بشكل ملموس؛ إذ أن المكسب الواقعي هو حليف المصري محيي الدين، عندما يتمكن من تشغيل المكنة في حيرة الطرفين ومن معها من العمال بتصرفه الجريء المبالغ. إذن، فإن المباراة انتهت إلى خسارة الروسي والأمريكي معاً، وإن الرابح الوحيد هو محيي الدين المصري المبتور البنصر. وتم تحليل الموضوعات في المقالة اعتماداً على المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات الرئيسية

القصة القصيرة، معاهدة سيناء، النزاع السياسي، يوسف إدريس.

مقدمة

يوسف ادريس هو الأديب المصري المعاصر (١٩٢٧-١٩٩١م)، ومن القصاصين المعروفين المنتمين إلى الجيل الثاني ممن ولدوا في العقد الثاني من القرن العشرين إلى أن امتد هذا الجيل بقيام ثورة ١٩٥٢م، تلك التي شهدت ميلاد الجيل الثالث. ولقد نشأ هذا الجيل في الثلاثينات من القرن العشرين واستحصد عوده في الأربعينات وكان من أبناء هذا الجيل من جمع بين الرواية والقصة القصيرة أو اقتصر على أحدهما أو جمع إلى ذلك ممارسة النقد واقتربت نشأة هذا الجيل بمناخات وظروف سياسية وثقافية ساخنة فيها معاناة اليأس والفشل (نوفل، ١٩٨٨م: ٧-٩). ومثل الجيل الثاني كثيرون، منهم: نجيب محفوظ، ويوسف السباعي، وثروت أباظة، وعبدالرحمن الشرفاوي، وأنيس منصور، وعلي أحمد باكثير، ويوسف ادريس... (نوفل، ١٩٨٨م: ١٩). واتخذ الجيل الثاني الموقف الواقعي على أعقاب الحرب العالمية الثانية وأعقاب يونيو ١٩٦٧م وازداد مفهوم الواقعية فيهم رسوخاً لذلك اعتبر يوسف ادريس وجيله من كتّاب المدرسة الواقعية (نوفل، ١٩٨٨م: ٢٣٩). إذا كان عبدالرحمن البدوي ويحيى حقي ومحمود طاهر لاشين هم رواد الاتجاه الواقعي في القصة المصرية الحديثة فإن واقعية ذلك الجيل كانت تشوبها الرومانسية حيناً أو التعميمات التجريدية حيناً آخر. من ثم كان الجيل التالي لهم ممثلاً في عبدالرحمن فهمي وشكري عياد ويوسف ادريس أكثر وعياً وواقعية (شكري، ١٩٩١م: ٢٤٠). وهكذا مرّت الواقعية في القصة القصيرة عند يوسف ادريس بمراحل متطورة كانت في مرحلة ذات سمات معينة ومفهوم خاص على النحو التالي: المرحلة الواقعية الرومانسية، المرحلة الواقعية النقدية الأولى، المرحلة الواقعية الانسانية، المرحلة الواقعية الرمزية، المرحلة النقدية الثانية نحو واقعية مصر (الورقي، ١٩٩٠م: ١٩).

يعتقد البعض أن عصر الواقعية في الأدب الواقعي بدأ بمجموعة يوسف ادريس «أرخص ليالي» التي صدرت عام ١٩٥٤م. مثل هذا العمل بالتحديد كان يؤذن بظهور مفهوم جديد لدور الأدب في معانقة قضايا المجتمع (سرحان، ١٩٩٨م: ٦٩). ويعتقد البعض أن التاريخ الحقيقي ليوسف ادريس كاتباً للقصة القصيرة يبدأ سنة ١٩٥٣م. في هذه السنة بالذات أخذ يكتب كتابة متصلة ذات طابع وأسلوب واقعي (عياد، ١٩٦٧م: ١٥٥).

حرص يوسف إدريس، على المنحى الواقعي النقدي في أعماله القصصية بصفة عامة وبعُد عن تناول القضايا المجردة وهو من أسبق الكتاب إلى النأي بالواقعية عن ممازجة الرومانسية إذ يغلب الجانب الموضوعي دائماً ويرتفع صوته عن صوت الذاتية وقد عدّه النقاد من أبناء مدرسة تشخوف وذكروه بحق ضمن أبناء المدرسة القصصية (نوفل، ١٩٨٨م: ٢٤٢-٢٤٣). هذا وإن يوسف إدريس كاتب واقعي بالمعنى الدقيق وآية واقعيته هي موضوعيته، نراه يتحوّل من مجرد راوٍ أو ساردٍ إلى شخصية من شخصيات قصصه، شخصية موضوعية لا ذاتية فيها ورغم أنّه لا يختفي وراء ستاره بل يظهر على المسرح بشخصه ويخالط أشخاص روايته ويكالمهم ويتفاعل معهم وهو يصبح واحداً منهم (عوض، ١٩٦٦م: ٣٧٦-٣٨٢). هذا يعني أنّ القصة مدارها ومطافها بيد القاص وليس بيد الأبطال، كما يلاحظ الأمر نفسه في قصة «معاهدة سيناء» القصيرة.

كان مقدوراً ليوسف إدريس الذي حمل موهبةً متفجرة بالصدق والأصالة أن ينقل القصة القصيرة إلى عصر الواقعية وهي ليست واقعية فجّة تنقل مباشرة من الحياة أو تُعيد حكاية ما يحدث بها من أفاصيل وإنّما تحاول أن تنفذ مباشرة إلى المعنى الأشمل والأعمق (سرحان، ١٩٩٨م: ٧٢). والواقعية الشاملة تتناول الواقع أو شريحة من الواقع أو جزءاً منه وقع للناس في المجتمع ولها شكلها الجديد في اختيار الواقع بدون تفصيل مملّ وهي تهتمّ بالنواحي الاجتماعية متأثرة بهذه المدرسة النقدية. وظهرت سمات هذه الواقعية في القصص القصيرة لدى الأديب يوسف إدريس (خفاجي، ١٩٩٥م: ١٥٦-١٥٧). منها «معاهدة سيناء»، إذ هي قصة قصيرة لها سمات الواقعية الشاملة التي تهتمّ بالنواحي السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية. ويوسف إدريس- كما يقول الناقد السعيد الورقي- يحاول تقديم مذهبه الجديد في قصص ذات لون محليّ مميز يدرس الحياة والعادات من خلال الملاحظة الدقيقة ويقدمها بطريقة توفّر فيها الموضوعية قدر الإمكان (الورقي، ١٩٩٠م: ٢٣). وهذا اللون المحليّ نشاهد ملامحه في تحليل القصة القصيرة «معاهدة سيناء»، في ما بعد. هي التي اصطبغت صبغة المرحلة النقدية الثانية نحو واقعية مصر.

فلقد انعكست كلّ تناقضات الواقع المصري في تحولاته على وجدان يوسف إدريس فعكست في أعماله الأولى رؤيةً واعية تدرك الصراع المستمرّ في حياتنا بين الجمود والحركة. لذلك حاول يوسف إدريس أن يقدم لنا رؤيةً جديدة للواقع عن طريق فن القصة (الكومي، ٢٠٠٣م: ٣٠٢). غير أنّ تناقضاً أساسياً في منهج يوسف إدريس على وجهيه الفكري والتعبيري

يحول دون تحقيق هذه الخطوات. يكمن هذا التناقض بين عنايته المفرطة بالتفاصيل الدقيقة في مجال التعبير، واللجوء إلى التعميم والإطلاق في مجال الفكر (شكري، ١٩٩١م: ٢٤٥). وملاحظ هذا التناقض والصراع في الواقع المصري قد يبدو في قصة «معاهدة سيناء» حيث تنصرف مصر في حياتها الاجتماعية، والفكرية، وواقعها السياسي، والاقتصادي إلى السوفيتية مرةً، وإلى الأمبريالية مرةً أخرى. لذلك يندلع النزاع السياسي بين العمالقة وأطراف القدرة على مقدرات مصر، سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وفكرياً. والتناقض التعبيري للكاتب يتجلى في تفصيله لأخلاقيات الأبطال القصصية وتصرفاتهم الاجتماعية، بينما تختزل العبارات في وصف المكان والزمان أو تنعدم.

ولعلّ يوسف ادريس قد تأثر تأثراً غير قليل بدعوة الأدب الهادف (الكومي، ٢٠٠٣م: ٢١٠). إذا كنّا نتحدث عن التجديد في الأدب والفن وعن حتمية هذا التجديد تبعاً لتغير وجه الحياة في العصر الحاضر فلا بدّ أن نجد أنفسنا نواجه المشكلة الأزلية: مشكلة ماذا يكون هدف الفن والأدب؟ (إدريس، مجلة الكاتب، ١٩٦٥م: ١٢٨). ومن هذا المسار، أصبح هدف القصة في «معاهدة سيناء» تغيير وجه الاستسلام والانطلاق نحو الحرية في الوطن المصري بالتعبير الرمزي لمعيشة ظروف سياسية وثقافية ساخنة، فيها معاناة اليأس والفشل، ولمسات من الظفر، في غمرة النزاع السياسي الغاشم.

الواقعية إذن هي التي قادت يوسف ادريس إلى الرّمز ولانقصد بالرّمز هنا تلك الرموز الثرية التي تزخر بها قصصه الواقعية كقصّة «معاهدة سيناء» فهي قصّة واقعية ولكنّها في نفس الوقت تحمل رموزاً ذكية (عبدالرزاق، ٢٠٠٦م: ٢٢٣)، فيجري فيها النزاع السياسي بين البطل الروسي (ماشنسكي) برمزيته الدالة على الدولة السوفيتية، والبطل الأمريكي (وليم) برمزيته الدالة على الدولة الأمريكية، في معسكر واقع في سيناء مصر بشأن تركيب قطعة الغيار الأمريكية على المكنة الروسية العاطلة، غير أنّ الخلاف يحسمه مصري اسمه محيي الدين بتشغيل المكنة بتركيب القطعة أمام حيرة طريف في النزاع. وبحسب تقسيم الورقي لمراحل الكتابة عند يوسف ادريس، تندرج قصّة «معاهدة سيناء» من ضمن الواقعية الرّمزية بطابع مصري. وهي توافق أحداثها تاريخياً نشوب الحرب الباردة بين السوفيتية الاشتراكية والأمبريالية الرأسمالية، والعدوان الاسرائيلي على شبه جزيرة سيناء بذريعة فتح قناة السويس، سنة ١٩٥٦م، والذي أدخل الدولة المصرية في حالة أمن حرجة أبان حكم جمال عبدالناصر الذي توسلّ في حل أزمات بلده السياسية والاقتصادية إلى المعسكرين الشرقي

والغربي. فجعل هذا المناخ السياسي الساخن من القصة تطبع بطابع المذهب الواقعي في الأدب الهادف.

هذا وقدّمنا بين أيدينا دراسة القصة القصيرة «معاهدة سيناء» التي نتابع فيها النزاع السياسي العائش بين القطبين الروسي والأمريكي بملامحه وأشكاله. لذلك تهدف المقالة إلى دراسة ملامح النزاع السياسي بين ملامح المشادات الكلامية وبين التصرفات للأخلاقية التي يقوم بها الطرفان الروسي والأمريكي، وإلى أشكال النزاع، والتي يمكن تقسيمها إلى المعارك، والمناظرات، والمباريات. ومن هنا يتم طرح الأسئلة.

أسئلة البحث

ما هي ملامح وأشكال النزاع السياسي في هذه القصة القصيرة؟ ومن يربح ومن يخسر الموقف؟ وما هي الحصيلة النهائية من النزاعات؟

خلفية البحث

هناك كتاب عنوانه: «يوسف إدريس بين القصة القصيرة والإبداع الفني»، لفاروق عبدالمعطي، من منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٤م، قام المؤلف فيه بتجميع ما تفرّق في طيات الكتب حول يوسف إدريس وأدبه دون أن ينقد موقف النقاد ويعمل كموسوعة النقد حول يوسف إدريس ويجعلنا نتعرّف على أسلوب الأديب مما كتب النقاد عنه. هذا وهناك كتب موضوعية وتحقيقية في فن الكتابة عند إدريس. منها: «مبنى القصة ومبنى المسرحية في أدب يوسف إدريس»، سان سوميخ، تل أبيب، ١٩٨١م. و«لغة القصة في أدب يوسف إدريس»، سان سوميخ، جامعة تل أبيب، ١٩٨٤م. و«الإبداع القصصي عند يوسف إدريس»، ب. م. كبرشويك، ترجمة رفعت سلام، منشورات دار سعاد الصباح، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م. هذه ثلاثة تدلّ على أنّ يوسف إدريس هو معروف في الأوساط الأدبية عربياً وفي غيرها. وكذلك كتب أخرى تتابع الأدب الإدريسي، منها «يوسف إدريس والتابو»، عبدالعزيز محمود، القاهرة، ١٩٨٦م، و«يوسف إدريس بقلم الكبار»، طه حسين، مكتبة مصر، ١٩٨٦م، و«يوسف إدريس والفن القصصي»، عبد الحميد عبدالعظيم القط، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨٠م.

هذا وهناك كتب تتضمن بين دفتيها في فصل من الفصول عن أدب إدريس مثل: «البحث عن طريق جديد للقصة القصيرة المصرية» (مشكلة المنهج النقدي للقصة المصرية، صص ١٣-١٥)،

عبدالرحمن أبوعوف، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م. و«أزمة الجنس في القصة القصيرة العربية» (فلسفة الحرام عند يوسف ادريس، صص ٢٣٩-٢٦٥)، غالي شكري، بيروت، دار الشروق، ١٩٩١م. و«شفرات النص، دراسة سيميولوجية في شعرية القصص والقصيد» (تحولات يوسف ادريس، صص ٢٠٨-٢١٣)، صلاح فضل، دار الآداب، ١٩٩٩م.

وثمة مقالات في إيران وخارجها من العالم العربي كتبت حول أدب يوسف ادريس، منها: «قصص يوسف ادريس القصيرة»، ب.م. كبرشويك، مجلة فصول، المجلد الثاني، يوليو، أغسطس، سبتمبر، العدد ٤، ١٩٨٢م. و«الشخصية المصرية عند يوسف ادريس، دراسة في مستويات اللغة»، حسن البناء، مجلة أدب ونقد، العدد ٤٣، ديسمبر ١٩٨٨م. و«إبداع يوسف ادريس في القصة القصيرة»، عائشة بكنجي وحسن مجيدي ومحمد أمين روديني، مجلة فصلية دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد جيرفت، السنة الثالثة، العدد ٩، ١٣٩٠ش. وهي تدرس الأسلوب اللغوي والمعنوي والفكري وكذلك الإبداع الفني في أدب يوسف ادريس.

من هنا بقي أن نتحدث عن قصة «معاهدة سيناء» التي لم يتطرق أحد إليها بعد عمّا يتعلّق بهذه القصة من مجموعة زواياها وخاصة دراسة النزاع السياسي في تلك القصة بمناخه، وملامحه، وأشكاله، كما سيأتي أمره بعد ذكر خلاصة من القصة.

خلاصة القصة

«معاهدة سيناء» عنوان قصة قصيرة في ثماني صفحات، تحدث نزاعاتها في معسكر بسيناء مصر، ملعب المباراة، ويلعب الطرفان الأصليان هما المستشار الروسي (ماشنسكي) والمستشار الهندسي الأمريكي (وليم) فيه الدور الغالب. بينما هناك طرف ثالث مصري لا يسمّى في البداية، لغرض المفاجئة السردية والذي يعجب بفعله الجميع. والهدف من النزاع هو السيطرة على مقاليد الأمور وتسييرها متمثلةً بتشغيل مكنة عاطلة روسية الصنع بتركيب قطعة غيار أمريكية. وكلّ يسعى وراء هدفه، على حساب خصمه، بكلّ ما يمتلك من استعداد وموهبة. ويقوم بتحكيم النزاع عادةً مهندس مصري، اسمه عبد الحميد، كان يشرف على المعسكر ويصعب عليه حلّ العقدة ويعجز عنها في هذا الشجار العنيف. ولكن لا يتمّ تصليح المكنة مع كلّ لاجحة، وامتناع، واصلف يصطنعه الروسيّ إلاّ بتدخل الطرف الثالث المغمور الهوية وهو تكنيكيّ مصريّ اسمه محيي الدين الملقّب بالنمس. يبدو أنّه هو اللاعب الفائز في هذه الدورة نهائيّاً. وهناك جماعة من العمّال والموظّفين الذين يشكّون عادةً أغلبية المتفرّجين، والهواة، والمتابعين للنزاع.

و«معاهدة سيناء» قصة المكنة الروسية التي تعطلت فجيء لها بقطعة غيار أمريكية. ولكنّ الخبيرين الروسيّ والأمريكيّ اختلفا على مَنْ يقوم بتركيبها فيبقى المصنع معطلاً إلى أن كان ذات صباح فوجئ الجميع بالمكنة تدور ومن ورائها النمس أو محيي الدين رغم تزويغه من الشغل إلا أنّه دائماً حلالّ المشاكل (عياد، ١٩٦٧م: ١٥٧).

مناخ النزاع

والقصة أخذها الكاتب من الواقع المعيش والمناخ السياسي والاقتصادي، والذي عاشته مصر فترة الحرب الباردة التي هي تقتصر على وجود معسكرين متناقضين. فأصبحت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية الدولتين الوحيدتين ترسمان سياسة العالم وتتنافسان على السيطرة عليه وأصبح مصير العالم متوقفاً على طبيعة العلاقات الدولية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة. وأصبح العالم بأسره أسير لقرارات، وسياسات، وصراعات هاتين الدولتين برزتا كقوة عسكرية واقتصادية أكثر تأثيراً ونفوذاً سياسياً ودبلوماسياً وإنهما الأكثر رغبةً في استغلال الظروف الدولية، لفرض آرائهما على بقية دول العالم (سعي عبد الله، ٢٠١٥م: ٣١). الصراع حول مصالح سياسية واستراتيجية حيوية تسببت جميعها في تعميق انقسام العالم إلى معسكرين أيديولوجيين متناحرين. إذ إنّ هذه المصالح المتضاربة هي التي ساهمت في تعزيز انقسام العالم إلى شرق وغرب (سعي عبد الله، ٢٠١٥م: ٣٥).

إفرازات الحرب العالمية الثانية ساهمت بشكل فعال في تطور ونشأة العلاقات الدولية الاقتصادية بين دول المعسكرين الشرقي والغربي وبلدان العالم الثالث على النمو (سعي عبد الله، ٢٠١٥م: ٦٥). وشهدت منطقة الشرق الأوسط بما فيها الدول العربية ضغوطاً خاصة بعد الحرب العالمية الثانية من قبل الدول الغربية في محاولة لجرها إلى مشروعات الدفاع الأمريكي الرامية إلى عزل الاتحاد السوفيتي والحد من توسع نفوذه في المنطقة (سعي عبد الله، ٢٠١٥م: ١٠٤). فقد فشلت الولايات المتحدة في استقطاب الأقطار العربية لتشكيل منطقة عميقة في وجه الاتحاد السوفيتي إزاء ازدياد النفوذ السياسي داخل المنطقة العربية. فالاتحاد السوفيتي بدأ منتصف الخمسينات من القرن العشرين تقديم الدعم العسكري، والمادي، والمعنوي للدول العربية لمواجهة إسرائيل وخاصة مصر، في حين اتخذت دول المعسكر الغربي موقف العداء لهذه الدول (سعي عبد الله، ٢٠١٥م: ١٠٦). أخذت الولايات المتحدة تجرب وسائلها نتيجة امتداد النفوذ السوفيتي في مصر فكان أسلوب المساعدات والصفقات منها مساعدة

مصر في بناء السدّ العالي في وادي النيل بشريطة الصلح مع إسرائيل أولاً وإيقاف صفقات شراع السلاح من الاتحاد السوفيتي ثانياً. ولكن رفضت مصر الشرطين. بينما عرض الاتحاد السوفيتي على الرئيس المصري جمال عبدالناصر المساعدة في جميع الميادين دون قيد وشرط. وتكون القروض طويلة الأمد لا ترهق مصر (سعي عبدالله، ٢٠١٥م: ١١٢).

كان للمساعدات السوفيتية على الأمريكية فضل ورجحان. إذ إنّ المساعدات السوفيتية تنفق للمشاريع التي يرغب فيها الرموز والقادة في الدول النامية كما تسلمت منها مصر في تطوير الأسلحة الحربية ومشاريع البناء مثل سد أسوان (سعادت مند، ١٣٤٦ش: ١٩٧).

كان النواب والشيخوخ في الكونغرس الأمريكي يلزمون الإدارة الأمريكية بإجراء المعونة العسكرية تفضيلاً على المعونة الاقتصادية ويعتقدون بالمساعدة الاقتصادية التي تنطوي تحت المساعدات العسكرية ضد الاشتراكية الروسية. والتجارة السوفيتية تعتبر لديهم بمثابة ديب ونفوذ الاشتراكية. وكانت المخاوف من الخبراء المهندسين التكنيكين السوفيتيين كمبعوثين ومستشارين سياسيين يلبّون الأجواء ويثيرون الفوضى في الدول المطموح فيها (سعادت مند، ١٣٤٦ش: ١٦٤-١٩٧).

تم توقيع أربع عشرة اتفاقية مبرمة اقتصادية وعسكرية حتى نهاية سنة ١٩٥٦م بين الاتحاد السوفيتي والدول في آسيا والشرق الأوسط. وكانت مصر من أهداف وأطماع الاقتصاد السوفيتي (لافهبر، ١٣٧٦ش: ١٩٧). قد أجرى إثر ذلك جمال عبدالناصر مفاوضات مع الدول الغربية والاشتراكية من أجل توفير السلاح لضعف يعانيه الجيش المصري في التصدي لهجمات إسرائيل على منطقة سيناء. وأعلن أخيراً أنّ الأسعار الأمريكية غالية جداً لا إنصاف فيها (لافهبر، ١٣٧٦ش: ٢٠٧).

إنّ شنّ العدوان الإسرائيلي على مصر وتنديد الغرب لمصر في مقارعة الصهيونية من ناحية، ودعم الحركات التحررية في البلدان العربية لمواجهة الاستعمار الغربي من قبل الاتحاد السوفيتي من ناحية أخرى، عمل هذان الأمران في إنجرار مصر نحو الاشتراكية القومية فترة الحرب الباردة (خدوري، ١٣٦٦ش: ١٢٩-١٧٧).

أسلفنا أنّ يوسف ادريس يعتبر من كتّاب الجيل الثاني ومن الأدباء الواقعيين المصريين. قال بعض النقاد إنّّه قد اقترنت نشأة هذا الجيل بمناخات وظروف سياسية وثقافية فيها معاناة اليأس والفشل. وقد عاش هذا الجيل حربين عالميتين وعمّه ما عمّ الشرق والغرب من

قلق شديد ضاعف من الإحساس به ثقافته ومواهبه، ورؤيته للألعاب السياسية والحزبية والقهر والاستعمار، ومطامع الأقوياء داخل البلاد وخارجها، والخطر الذري وأهواله وإذكاء جذوة العاطفة الوطنية (نوفل، ١٩٨٨م: ٩-١٠).

ومن المنطلق هذا، نلاحظ أن الكاتب أنشأ قصته في مناخ سياسي ساخن وفي فترة خاصة انقسمت فيها الدنيا إلى الكتلتين الشرقية والغربية. كل يسعى وراء السيطرة على العالم بأسره. لذلك تظهر السياسة الأمريكية الرأسمالية والسياسة الروسية الاشتراكية جلياً في هذه القصة، وتمثل تلك السياسة رمزياً في وجود البطلين الروسي (ماشنسكي) والأمريكي (وليم)، وكذلك في الحوارات والمشادات اللفظية والتصرفات التي يقوم بها في القصة. هذان الشخصان يمثلان رمزياً الجبهتين السياسية والاقتصادية المتنازعة المتضادة بين الشرق والغرب وبعثهما بمقدرات الأطراف الضعاف منها دول الشرق الأوسط الضعيفة التي تريد تقرير مصيرها، وحياتها بيدها، وتنوي شد قوى أزرها بموهباتها، رغم الكتلتين.

الأبطال اللاعبون في النزاع

الأبطال اللاعبون في هذه القصة القصيرة عادةً هم الشخصيات الانسانية أو الآلية التي تشكل القصة وأحداثها إلا أن الشخصيات الانسانية هي أهم عناصر القصة؛ إذ أن «الشخصية ترتبط بالحدث ارتباطاً وثيقاً وللشخصية أبعادها المتعددة: الجسمية والنفسية والفكرية والاجتماعية وما إلى ذلك، ولكن القصة القصيرة لاتحتمل البحث في هذه الأبعاد جميعاً، بل يتركز فيها الضوء على بُعد أو أكثر، وفقاً لنوع الانطباع الذي يرمي إليه كما أن الحديث عن الشخصيات الرئيسية يدخل في باب الحديث عن الرواية وليس في باب القصة القصيرة لأنها تنص أساساً على عدد قليل من الشخصيات» (أحمد، لا تا : ١٢). ومن هذا المساق نرى أن عدد الأبطال أو الشخصيات الرئيسية في هذا العمل الأدبي قليل وأن لها سماتٍ جسمية واجتماعية ونفسية كما يلي الحديث عنه.

أ) تسمية أطراف النزاع

١. اللاعبون الأصليون

وهكذا يقدم يوسف إدريس في مقدمة القصة أبطاله: «الأبطال هنا ثلاثة.. لا بل أربعة، إذا حسبنا "المكنة" التي كان لها دورٌ لا يقل خطراً عن دور الانسان.. وأول الثلاثة هو "ماشنسكي" الذي يسميه العمال في المعسكر "ماشاشا".. والثاني كان "بيل" أو إذا أحببت الدقة "وليم"

الأمريكي المعظم... أمّا الثالث فلم يئن بعدُ وأنّ الحديث عنه.. أمّا رابعة الأربعة، المكنة...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٧٩).

فإذن اللاعب الأول في هذه القصة فهو مستشار روسي اسمه «ماشنسكي» الذي يقف في الملعب الشرقي والثاني فهو مستشار تقني أمريكي يدعى «وليم» الذي يستقر في الملعب الغربي. وهما يشكّلان طرفي النزاع والمباراة في القصة. والثالث يتعمد الكاتب في إخفاء تسميته لغرض فني سردي كما رأينا، والرابع هو المكنة حسب تعبيرنا يمكن أن نسميها هنا كرة المرمى في المباراة والنزاع. كأنّ الكاتب يشك في تسميتها بطلاً بتعبيره «ثلاثة .. بل أربعة».

٢. لجنة التحكيم بين الطرفين

يتولّى الطرف المصري، الذي يمثله عبدالحميد، التحكيم بين الطرفين في تهدئة الموقف العنيف: «وكان عمل المهندس المصري أول الأمر أن يمنع الاحتكاك المباشر ويلطّف الكلمات الحادة، ويقول لبيل: طِب امسحها في ذقني أنا، ويقول لماشا: مَعَلشي عشان خاطري، إلى أن بلغ مراده وبدأ الجوُّ يهدأ...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٣). وعبدالحميد يحول بين بيل وماشا ليتشاداً ونراه: «... بأخر ما يستطيع من جهدٍ حاول مرةً أخرى أن يجمع ماشا وبيل كي يتقفا ويركب أحدهما أو كلاهما القطعة ويستأنف العمل، ولكنه ما كان يجمعهما إلا ليتشاداً ويتفرّقاً...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤). وهذا يدل على أنّ النزاع مادام يشتعل ولا يخمد. ويشاركه في الحكمة مجموعة من العمّال والموظّفين في المعسكر بوساطتهم بين الطرفين الروسي والأمريكي: «وترتفع أكثر من مائة يد صعيدية وبحراوية، أيدٍ مشققة وأيدٍ ناعمة مثقفة، تحول بين الاثنين وتلطّف الموقف» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤).

٣. المتفرّجون والهواة

يقف الكاتب، يوسف إدريس في تصوير العمّال والموظّفين موقف المتفرّجين على النزاع حين يقول: «... فالجميع حلقات حلقات، مشغولون يتبع أخبار المعركة الدائرة بين ماشا وبيل وآخر أنواع الشتائم التي كان يطلقها كلٌّ منهما خلف الآخر وأمامه...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٥).

ب) سمات الأبطال الجسدية

ويصف الكاتب من الناحية الجسدية تلك السمات الظاهرية كالثقل ولون البشرة مثلما يقول عن ماشنسكي اللاعب الأول: «... وهو أحمر الوجه فاقع الحمرة تلك التي تميز وتقف حدّاً فاصلاً بيننا نحن شعوب آسيا وأفريقيا وبين الأوربيين...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٧٩).

ويصف وليم اللاعب المقابل أنه من الناحية الجسدية وهو «ذو القتب والنظارات والجسد الرشيق النحيل الذي ربّما طال في الهواء لو نَفَخْتَهُ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٧٩).

أمّا البطل الثالث وهو الرجل المصريّ التقنيّ واسمه محيي الدين فربّما يؤخّر الكاتب تسميته إلى أواخر القصة، وصفاته هي: «... أسمر، مبتور البصر الأيمن غزير العرق، شعره أغير قد أصبح له لون الصحراء الأصفر من كثرة ما علق به من تراب وغبار...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٥).

والآلة كائن غير إنساني باسم (المكنة) وأمّا مواصفاتها: «فهي آلة ضخمة جداً في حجم البيت الصغير أو أكبر قليلاً وثمنها كذا عشرة آلاف جنيه، وأصلها روسي، أنتجتها مصانع ليننجراد وجاءت إلينا كجزء من القرض» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٧٩).

هذا القرض في أرض الواقع، يشير إلى أن المساعدات الروسية أو الأمريكية كانت عن طريق القروض بفائدة والائتمان طويل الأمد أو قصير الأجل، على الفور لمطامع سياسية خلال أعوام ١٩٥٤-١٩٦٠م. بينما كانت هذه المنح والمساعدات الاستقرائية الأمريكية بشروط وقيود، كانت هي تساهم في تنمية الدول النامية من المنظور السوفيتي بالرغم من تناوّل أرقامها (سعدى عبدالله، ٢٠١٥م: ١٠٩-١١٠). وهذا المشهد بعينه يتجلى في قول يوسف إدريس، خلال القصة إذ نراه في الحديث عن المكنة الروسية وثمنها عشرة آلاف جنيه، تدفعها مصر إلى الاتحاد السوفيتي عن طريق القرض.

هناك لاعبون آخرون لا يتصدّر أسماؤهم في القصة ولهم أدوار فرعية أو شبه فرعية. منهم من يظهر بعد خراب المكنة إلى جانب ماشا وهو: «المهندس المصريّ المشرف على المُعسكر...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٠). والذي يعرفه الكاتب في جملة معترضة داخل القوسين: «وهو رجل في حوالي الأربعين وشعره أسود تماماً وله كرش وكان زمان يُعتبر نفسه دون حوار» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٠). ويكشف القاص عن اسمه في ما بعد وهو عبدالحميد.

وكذلك، هناك بطل، يلعب دوراً غير أصلي في إشارة عابرة، وهو بتعبير يوسف إدريس: «لا شيء سوى مواصل الحظ والكسل تنطلق خافتة من عقيرة حمدان أبوطالب صعيدي قنا القح والمغني شبه الرسمي للمعسكر» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٠). هذا الرجل لا يظهر في مواقف أخرى للقصة أبداً إلا هنا وربّما كان الغرض من تسمية هذا الرجل هو وصف الفضاء السائد على القصة، الدال على الهدوء والكسل.

ج) مهام الأبطال الاجتماعية في عملية النزاع

يومئذٍ الراوي في الصفحة الأولى من القصة إلى مهمة البطل الروسي (ماشنسكي) أنه أتى للإشراف على المكنة وإدارتها، فيقول: «جاء معها ماشنسكي ليدبرها ويشرف عليها ومن أول يوم له في المعسكر ألغى العمال والموظفون كلمة ماشنسكي نهائياً واستبدلوا بوعي أو لا وعي بكلمة ماشا.. والمكنة وماشاشا والمعسكر كله..» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٧٩).

يقوم الراوي أيضاً، في خلال القصة بالإيماء إلى مهمة البطل الأمريكي، وليم دون المباشرة وهي العمل في ذلك المستوى الذي يحترفه ماشنسكي: «... أصبح هو يطالب الذين يعملون معه بأن يطلقوا عليه الاسم الذي تعود الناس أن ينادوا به وليم وهو بيل» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨١).

لكن الراوي ينوّه بصراحة في مكان آخر للقصة إلى أن ماشا وبيل: «... شابان متقاربان في السن، لهما نفس المهنة وربما نفس الهوايات...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٥). وذلك يدل على تساوي الظروف، والملابسات، والقدرات، والمواهب، إذ بها يتم إجراء المباراة العادلة بين الطرفين في النزاع السياسي.

وفي المشهد الواقعي، قدمت الاتحاد السوفيتي مساعدة عسكرية إلى مصر لتزويدها بالسلاح، بعد توقيع اتفاقية، أثناء اندلاع أزمة قناة السويس، فعرفت اتفاقية عام ١٩٥٥م باسم الصفقة التشيكية، إلا أن الأسلحة الممنوحة لمصر كانت في واقع الحال هي أسلحة سوفيتية متطورة، واشتملت الاتفاقية على إرسال خبراء سوفيت لتدريب المصريين على هذه الأسلحة ولما كانت تشيكوسلوفاكيا هي واجهة اتفاق التسلح السوفيتي- المصري فقد كان الخبراء العسكريون يصلون إلى القاهرة من الاتحاد السوفيتي حاملين جوازات سفر تشيكوسلوفاكية (سعدى عبدالله، ٢٠١٥م: ١١١). قد تم تأمين قناة السويس في ٢٦ تموز ١٩٥٦م ولذا أصدرت الولايات المتحدة وحلفاؤها قراراً بتجميد رؤوس الأموال المصرية وكان تأمين القناة هو السبب المباشر للدوان الغربي والاسرائيلي على مصر. فقد قام الاتحاد السوفيتي سريعاً بتعويض مصر عن أولئك المرشدين الغربيين وبتأهيل وتدريب مزيد من المصريين (سعدى عبدالله، ٢٠١٥م: ١١٢-١١٣). وذلك هو حال ماشا الروسي كمرشد وخبير، ومستشار تدريبي، في هذه القصة، إلا أن الولايات المتحدة لم تتخلف عن خصمها في إرسال المتخصصين والمستشارين وراء أهدافها، كما يتمثل الأمر في شخصية بيل بطل القصة.

يظهر رجل غير مسمّى في البداية، بعد خراب المكنة إلى جانب ماشا وهو: «المهندس المصري المشرف على المعسكر...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٠). يظهر فجأة اسم السيد عبد الحميد

هو الذي «أرسل إلى مركز المؤسسة رسالةً مُسجَّلةً بِطَلَبِ النَّجْدَةِ ... كما طَلَبَ السَّيِّدُ عَبْدَ الْحَمِيدِ فِي اسْتِغَاثَةٍ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٠). وبذلك يقف القارئ أمام حيرة في تحديد الشخصية لعبد الحميد. ويستمر الراوي في وصف مهمته: «رُغِمَ أَنْ رِسَالَتَهُ أَوْقَعَتْ مَرَكْزَ الْمَوْسَسَةِ بِالْقَاهِرَةِ فِي دَوَّامَةِ حَرَجٍ شَدِيدٍ...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٠). وفي مكان آخر يشرح الراوي زوايا مهمة عبد الحميد في إيصال الأنباء إلى ماشنسكي (ماشنا) الروسي عندما يبلغه الخبر الخاص بقطعة غيار أمريكية: «بأنفسهم ذهبَ الْعَمَالُ وَعَلَى رَأْسِهِمُ السَّيِّدُ عَبْدَ الْحَمِيدِ يَزْفُونَ الْخَبَرَ لِمَاشَنَّا...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨١).

يبدو أن التمويل السوفيتي لم يكن لغرض التدخل في شؤون البلدان بحيث لم يكذب يدرس الاتحاد السوفيتي المشاريع كلفتها ومحل إنفاقها دراسة تطبيقية هندسية، ولم يكن في هذا الحين، يرسل الوفد المتخصص من أجل تقييم المشاريع، تخطيطها وإدارتها، وكيفية إغداق الأموال، بينما الأمريكان كان لديهم مركز لتمويل المشاريع يرصد التكاليف مسؤولاً عنها من الكونغرس بتقديم الفاتورة التي تحتوي على الجزئيات من صرف الأموال (سعادتمند، ١٣٤٦ش: ١٩٨). ومصادقية هذا الرأي تظهر في رسالة المهندس المصري إلى مركز المؤسسة بالقاهرة والتي جعلت المركز في حرج لتوفير الطلب لعدم التخطيط والمماثلة من قبل التمويل السوفيتي. في مقاطع أخرى للقصة، يظهر محيي الدين إلى جانب عبد الحميد وهو الذي يعرفه الراوي إذ: «... يسميه العمال النمساوي وهو رُغِمَ نَهْمِهِ الشَّدِيدِ وَحُبِّهِ لِالْتِهَامِ الطَّعَامِ، رُغِمَ تَزْوِيفِهِ مِنَ الشَّغْلِ كُلَّمَا عَنَتَ لَهُ فُرْصَةٌ إِلَّا، أَنَّهُ دَائِمًا حَلَّالُ الْمَشَاكِلِ، عَمَلٌ مَعَ مَاشَنَّا فَالْتَقَطَ مِنْهُ الصَّنْعَةَ وَعَمَلٌ مَعَ الْأَلْمَانِ فَتَعَلَّمَ الْمِيكَانِيكَ... وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ الصَّحْفَ بِمَهَارَةٍ، مُتَّحَمِّسًا...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٥).

أما بالنسبة لهذا الرجل وشأنه فيؤكد الراوي قوله، هكذا: «كَانَ النَّمْسِيُّ، عَلَى ضَوْءِ كُلوْبِ، وبمُساعدة زَمِيلٍ لَهُ، قَدْ قَامَ مِنْ وَرَاءِ بِيْلِ وَمَاشَنَّا وَمِنْ وَرَاءِ الْبَاشْمَهَنْدِسِ، فِي اللَّيْلِ، بِتَرْكِيْبِ قِطْعَةِ الْغِيَارِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالتَّصْرِفِ فِي أَجْزَائِهَا وَصَوَامِيلِهَا حَتَّى طَابَقَتْ تَمَامًا الْمَكْنَةَ الرَّوسِيَّةَ. وَعَلَى صَوْتِهَا هَبَّ الْجَمِيعُ مِنَ النَّوْمِ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ وَتَجَمَّعُوا بَعِيُونِ نِصْفِ مَغْمُضَةٍ يَرْقُبُونَ الْمَكْنَةَ الدَّائِرَةَ وَبِجَوَارِهَا النَّمْسِيُّ وَعَلَى وَجْهِهِ الطَّوِيلِ تَرْتَسِمُ ابْتِسَامَةٌ ظَفِرٌ عَرِيضَةٌ وَالزَّيْتُ يَقْطُرُ مِنْ سَوَاعِدِهِ وَجِبْهَتِهِ وَيَدِيهِ ... وَظَلَّتْ الْمَكْنَةُ بَعْدَ هَذَا تَدُورُ. وَإِلَى الْآنِ وَهِيَ لِاتَزَالُ دَائِرَةً. نِصْفُهَا أَمْرِيكِيٌّ وَنِصْفُهَا رُوسِيٌّ، وَالَّذِي يَدِيرُهَا هُوَ النَّمْسِيُّ بَعِيْنِهِ وَسَمْرَتِهِ، وَبِنَصْرِ يَمْنَاهِ الْمَتَبُورِ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٦). وربما ترمز شخصية النمساوي إلى الرئيس المصري جمال

عبدالناصر آنذاك. وهو كان يغتنم الفرص، حين اشتعال الخلافات بين الدول الشرقية والغربية وانشغالهما على أنفسهما، للاستفادة من طاقاتها لتنمية البلد المصري الذي يعاني من مشاكل اقتصادية وتطويرية.

د) نفسانيات الأبطال في النزاع

يرمز الكاتب إلى أخلاق القوم الذي ينتمي إليه الأبطال في هذه القصة، كما يصف حالات ماشا اللاعب الروسي، عندما تتعطل المكنة وهو يصلحها بجد يمزجه حزن ظاهر: «قال ماشا بوجه صارم مُبتسئ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٠). وعندما تصل قطعة الغيار الأمريكية «بين تهبّيص وطبل وأغانٍ وفرحة... إلى المُسكر» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨١). يغضب ماشا بوصول بيل وقطعة الغيار معه ولذلك يلاقي العمّال و«يزجرهم ماشا ويهب في وجوههم... صرخ ماشا في الجميع قائلاً: لا.. لا يمكن..» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨١).

والعمّال العزّل، عندما يمنعهم ماشا من تركيب القطعة الأمريكية على المكنة الروسية، هم: «... جالسون القرفصاء ورؤوسهم بين ركبهم يسلون بعضهم البعض ويضحكون» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٢). وهذه الحالة من الجلوس ووضع الرؤوس بين الركب تعني فقدان الوظيفة والاختيار في العمل، واليأس من الانتظار الفاشل للفرج الآتي.

في مكان آخر، تظهر حالة طريفي النزاع، عند «مؤتمر ظل ماشا في أوله ينظر شزراً وباحتقار شديد إلى بيل، وبيل يقابل نظراته بعينين كأنهما فوهتا مسدسين من مسدسات رعاة البقر في أفلام السينما» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٢-١٨٣). وشزر النظر باحتقار شديد يعني كراهة للنفس من العدو وعلامة على الغضب والإعراض والاستهانة. والمقابلة بالعيون الشاخصة الحاقدة التي تشبه حالة إطلاق النار من المسدس تعني شدة الكره أيضاً للخصم.

ويتابع الأديب في استحضار الأفكار للأبطال ويصف الأخلاق والروحيات بلسان كل بطل لمقابلة، بحيث: «... أدرك ماشا أن بيل يفهم حقيقة الميكانيكا وأن الناس في الولايات المتحدة ليسوا جهلة كما يظن، واكتشف بيل هو الآخر أن ماشا الروسي ليس مجرد أسطوانة مسجل عليها أقوال ماركس ولينين وإنما هو آدمي أيضاً يغضب أحياناً يرضى ويبتسم ابتساماً صافية، جداً كابتسامات الأطفال» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٣). وهذا يعتبر تفاهماً حقيقياً وإحساساً صادقاً بإنسانية الطرفين عندما يجتمعان في مؤتمر لحل الأزمة القائمة.

هذا المقطع يشير إلى أمر التفاهم بين السوفيتية والولايات المتحدة الأمريكية. واتسمت سنوات (١٩٥٦-١٩٦٩م) من الحرب الباردة بمرحلة التعايش السلمي. إذ تعتبر مدة انتقالية

في سياق تطور الصراع بين الشرق والغرب. فشهدت العلاقات السوفيتية والأمريكية هدوءاً نسبياً في بداية هذه المرحلة ولاسيما في منتصف ١٩٥٨م، وقد ظهرت بوادر التعاون التجاري بعد أن أدرك الطرفان أنّ كلا الدولتين تمتلكان قوة اقتصادية كبيرة (سعدي عبدالله، ٢٠١٥م: ٤٥).

ويصف الأديب الحالة النفسية للمهندس المصري (عبد الحميد) الذي يتحكّم دائماً بين أطراف النزاع بعد نقاش عملي ومهني نتيجة الوساطة، إذ: «تَهَلَّلَ وَجَهُ الْمُهَنْدِسِ الْمِصْرِيِّ طَرِباً لِلنَّيْجَةِ، وَالنَّيْجَةُ الَّتِي كَانَتْ مَفْرُوضاً أَنْ يَسِرَّ لَهَا مَاشَا وَبَيْلٌ...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٣). ولكن ما كاد أن نشب نزاع بين طرفي الشجار من أجل تركيب قطعة الغيار، فيشتتم ماشا على غضب الشركة الأمريكية ويتهمها: «و يثور ماشا ويقول لا يمكن أن أسمح لمندوب شركة أمريكية احتكارية رأسمالية متعصبة أن يعيثَ فساداً في مكنة أنتجتها أيدي الطبقة العاملة السوفيتية» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤). وفي المقابل: «يستشيطُ بيلُ غضباً ويقول: أيها الشيوعي...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤). ويردّ ما لا يمكن ذكره من الشتائم المحذوفة في العبارة وهذا يدلّ على حالة انفجار النفس من الغيظ والغضب.

في مقطع قصير، يعبس عبد الحميد المسؤول عن المعسكر بحيث: « يعودُ العَبُوسُ الْعَظِيمُ يَحْتَلُّ وَجَهُ السَّيِّدِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، فَخِلَافَ مَاشَا وَبَيْلٍ لَيْسَ نِقْمَةً وَلَكِنَّهُ نِعْمَةً تَهْبِطُ أَوَّلَ مَا تَهْبِطُ فَوْقَ رَأْسِهِ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤).

وفي مكان آخر للقصة، يصوّر الكاتب الحالة النفسية لطرفي النزاع مصوراً روحياً الجبهتين الشرقية والغربية والتي تتمثل في بصمات الوجه لبيل و ماشا: «كُلُّ مِنْهُمَا يَقِفُ مَوْقِفاً صَلْباً عَنِيفاً وَكأنَّما قَدْ اسْتَحْضَرَ فِي جَسَدِهِ الْوَاحِدِ عِنَادَ أُمَّتِهِ بِأَسْرِهِا كُلَّ طَاقَتِهَا عَلَى الْقِتَالِ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤-١٨٥). استحضار العناد هذا ينم عن شدة الحقد الكامن في النفس. ويواصل الكاتب وصفه لهذه الحالة: « وَلَكِنْ كَلَّ مِنْهَا مُسْتَعِدُّ أَنْ يَقْتَلَ الْآخَرَ مَثَلًا لَوْ ظَلَّ الْآخَرُ عَلَى صُلْفِهِ وَعِنَادِهِ .. كُلُّ مِنْهُمَا عَنِيدٌ وَصَلْبٌ يَرِيدُ أَنْ يَذْبَحَ الْآخَرَ وَيَصْفِي دَمَهُ، كُلُّ مِنْهُمَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ وَأَنَّهُ لَوْ تَرَاجَعَ قَيِّدٌ أَنْمَلَةٌ فَكأنَّما كَرَامَةٌ بَلَدِهِ وَشَعْبِهِ هِيَ الَّتِي تَتَرَاجَعُ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٥). إذن، هذا الحقد، والصلف، والعناد، وعدم التنازل، كل هذه الأشياء تزيد من حالة التدهور والتأزم بحيث ينتهي الأمر إلى أَوْخَمِ حَالَةٍ وَهِيَ الْقِتَالُ، وَالذَّبْحُ، وَزَيْفُ الدَّمِ، وَسَحْقُ الْكِرَامَةِ. وَنِسْبَةُ الْحَقِّ إِلَى النَّفْسِ دُونَ رِعَايَةِ حَقُوقِ الْآخَرِينَ هِيَ مِنْ مَظَاهِرِ الْعَنْجِيهِيةِ وَالنَّرْجِسِيَةِ لِكِلَيْهِمَا.

الأمر نفسه جرى على الواقع حيث أضحى نوايا وأهداف الاتحاد السوفيتي بالضرورة على الضد من مصالح وأهداف الولايات المتحدة. وإنّ أهداف ومصالح كلا الطرفين تنبعان من دوافع أيديولوجية والتي كانت أكثر قوةً من أي دوافع أخرى والتي لا يمكن التساوم والتنازل عنها إلاّ بزوال أحدهما (سعدي عبدالله، ٢٠١٥م: ٣٦).

جغرافية النزاع وحدود الملعب

تجري المناحرة السياسية في هذه القصة في مكان جغرافي بنفسه في الواقع ولموس بعينه أيضاً وهو شبه جزيرة سيناء بمصر حيث يصفها الكاتب بقوله: «هناك.. على مدد السفّر.. بعيداً جداً، قُرب حُدودنا الشَّرقيّة المُطلّة على ساحلِ البَحْرِ الأحمرِ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٧٩). وأمّا ملعب المناوئة الواقع في هذه الجغرافية فهو عبارة عن معسكر تتردد تسميته خلال القصة دائماً بعشر مرّات، ويحدّد الراوي حدود الملعب، بقوله: «في تلك البُقعة النائية من شبه جزيرة سيناء وتحت لَفح نيرانِ تَتَأَجُّجٍ مِنْ صُفْرَةِ الأَرْضِ وَزُرْقَةِ السَّمَاءِ، هناكَ حيثُ لا حَيَاةَ ولا جَمَالَ، ولا شَيءَ سِوَى الرَّمْلِ، والصَّحراءِ، والجبلِ، والعملِ، هناكَ حيثُ المُعسكرُ مُقامٌ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٥).

وأسلفنا سابقاً أنّ الحرب الناشبة، بين إسرائيل ومصر في حدود جغرافية سيناء، دارت حين تمّ تأميم قناة السويس في ٢٦ تموز ١٩٥٦م، بإصدار قرار من الرئيس المصري جمال عبدالناصر. وكان من مخاوف إسرائيل انغلاق المعبّر التجاري المتّجه إلى البحار المفتوحة الحرة. واسرائيل ترى لنفسها حقاً للإقدام المباشر بشن العدوان على مصر لفتح المعبّر.

ملامح النزاع السياسي

أ) المشادّة الكلامية بين أطراف النزاع

يضطرم النزاع ضراوةً عندما يطّلع ماشا الرّوسيّ على وصول قطعة الغيار الأمريكية فيمنع العمّال من تركيبها ويثيره هذا الواقع رغم أنفه فيزجرهم ويهب في وجوههم ويردّ على العمّال في طلب تركيب القطعة وتجربتها ويصرّ على عدم صلاحية تشغيل المكنة بقطعة غير روسية، بقوله: «مستحيل أن تصلح قطعة غيار أخرى غير القطع الروسية للمكنة...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٢). وهذا هو اتخاذ الموقف الشديد حيال الخصم في ساحة الملعب برفضه تشغيل المكنة، لذلك نشاهد أنّ: «... ماشا يرفض ويصرّ على الرفض...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٢)،

وعقيدته راسخة وصريحة جداً في رفض الطلب بقوله مرتين: «لا.. لا يمكن..» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨١-١٨٢). ويستمر هذا الرفض والإصرار بكلمة ماشا: «إنَّ المكنة السوفيتية لا تصلحُ لها إلاَّ قطعُ غيارِ سُوفيتيةٍ.. قالَ هذا وهو يشدُّ على كلمةِ سوفيتيةِ الأولى والثانيةِ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٢). ويشترطُ في هذا الخصوص و: « يقول: إنَّ المكنةَ روسيةً وأيُّ تغييرٍ فيها أو تَبديلٍ يجبُ أن يتمَّ بمعرفتهِ هو» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤). والإصرار هو من مظاهر المشادة الكلامية في موقف النزاع.

في المقابل، يتصدَّى بيل لإصرار ماشا الممانع ويصرفه عن التصرف الحصري والاحتكاري و: «بيل يقول: هذه المكنة كانت روسيةً وهي الآن وبغيرِ قطعةِ غيارِ الأمريكيةِ مجردُ كتلةٍ من الحديدِ الخردةِ، ولا بدَّ له أن يتولَّى عمليةَ التركيبِ والتشغيلِ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤). والتصدي لموقف الخضم يظهر بكلمة حصرية (لابدَّ)، وهذا يزيد من حالة المشادة في ما يتعلَّق بموضوع الخلاف.

يعدُّ عدم التوافق الايديولوجي بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية واحدة من أهم عناصر الخلاف بين الطرفين ويرجع هذا الخلاف الايديولوجي إلى قيام الثورة البلشيفية عام ١٩١٧م (سعدى عبدالله، ٢٠١٥م: ٣٣).

ب) التصرف الاجتماعي اللاأخلاقي

صوّر الكاتب في كلمات وجيزة حالة التصرف الاجتماعي غير الآبه بالأخلاقيات في المجتمع الإسلامي والقذوة الثقافية الغربية لكل من ماشا وبيل، عندما يتتبع الجميع الأخبار الدائرة بينهما حين يطلقان أنواع الشتائم، كلُّ منهما خلف الآخر وأمامه: «... وعددُ صفائحِ البيرةِ التي يقذفها ماشا، وعددُ جرعاتِ بيل» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٥). وقذف صفائح البيرة صورة مشوهة لأخلاقية، ناجمة عن التنكر والنزاع، وتحكي عن تصرف اجتماعي لايبالي التقاليد، عند الغربيين.

أشكال النزاع بين الأطراف المناوئة

لا خلاف أن ظاهرة الصراع هي إحدى الظواهر الرئيسية للمجتمعات البشرية على كافة المستويات، سواء بين الأشخاص، أو بين المجموعات الاجتماعية، أو بين الدول نفسها، وإذا كانت ظاهرة الصراع تعني أن هناك طرفين أو أكثر، لكل منهما أهداف تتناقض مع الطرف الآخر فإن

هذه يمكن تقسيمها إلى أشكال المعارك، والمناظرات، والمباريات (هاشم، دون تا: المقدمة).
وتوجد هذه الأشكال من النزاع، في قصة «معاهدة سيناء» القصيرة، في ما يلي ذكره.

أولاً: المعارك

هو الشكل الذي يتدهور فيه ضبط النفس، حيث أن كل فعل في هذا الشكل يصبح بداية لرد فعل أقوى، وهكذا تتصاعد عملية الصراع بسرعة تؤدي إلى فقدان الأطراف التحكم في نمط التفاعل. ومن أمثلة هذا الشكل الحرب النووية ما أن تبدأ حتى تفقد الأطراف المتصارعة السيطرة عليها (هاشم، دون تا: المقدمة). والمعركة هي تعارض نزعات أو شخصيات في إطار ذاتي أو مذهبي (علوش، ١٩٨٥م: ١٤٩)، أو سياسي من أجل التفوق في ساحة النزاع، والجدال، والصدام.

وقلنا إن منطقة الشرق الأوسط بما فيها الدول العربية شهدت ضغوطاً خاصة بعد الحرب العالمية الثانية من قبل الدول الغربية في محاولة لجرها إلى مشروعات دفاعية تهدف عزل الاتحاد السوفيتي والحد من توسع نفوذه في المنطقة (سعدي عبدالله، ٢٠١٥م: ١٠٤). فدامت المعارك بين النزعات السياسية.

ومثل هذه الصورة نلاحظه، عندما لم ينجح التفاوض في حلّ السلام والهدنة بين بيل وماشا في من يتولّى تركيب قطعة الغيار الأمريكية على المكنة الروسية «فما دامت قطعة الغيار قد أثبتت صلاحيتها فلا بدّ إذن من تركيبها وتسيير المكنة بها، من يركبها؟ ذلك هو الصّدّام المروّع الذي نشأ» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٣). ويحتدم الموقف إذ يقول ماشا: «إنّ المكنة رُوسيةٌ وأيُّ تغييرٍ فيها يجبُ أن يتمّ بمعرفته هو. وبيل يقول: هذه المكنة كانت رُوسيةٌ وهي الآن وبغير قطعة غيارٍ أمريكيةٍ مُجرّد كُتلةٍ من الحديد الخُرْدِ، ولا بدّ له هو أن يتولّى عملية التركيب والتشغيل» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤). ويتشاد الطرفان دون التنازل عن الموقف الحرج الحادّ لصالح الآخر ولذلك «يثور ماشا ويقول: لا يمكن أن أسمح لمدوب شركة أمريكية احتكارية رأسمالية متعفّنة أن يعيث فساداً في مكنة أنتجتها أيدي الطبقة العاملة السوفيتية» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤). و«يستشيط بيل غضباً ويقول: أيها الشيوعيّ...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤). وهذا التشدق الكلامي اللاذع يصور إثارة النفس الحاقدة واستشاعة الغيظ الكامن في النفس، ويحكي عن التدهور والعدول عن الأخلاق المحترمة بين الطرفين في المعركة، ويرمز إلى ما لا يليق ذكره، بالفواصل المنقوطة والكلمات المحذوفة، أخيراً.

نرى مرةً أخرى ذلك الانقسام السياسي والانفصال في المواقف، كما يقول الراوي: «وتطوّر الخلاف وتبوّدت الكلمات الزاعمة الطائشة حتى عاد المعسكر إلى انقسامه فلازم ماشا غرفته، وجلس بيل جلسة المتحفز أمام بابيه...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤). الانقسام هنا يتمثل في لزوم ماشا غرفته وجلس بيل قرب بابيه، بشكل مثالي ورمزي، إذ يتبلور الانقسام في التصور بتحيي البعض عن بعض آخر، عندما تتعد الأهداف المنظورة. وبشكل غير مباشر، يوحي لزوم الغرفة والباب انقسام الجماعات إلى المؤيدة والمناوئة لطرف النزاع، كما نرى فعله من العمّال والموظفين في هذه القصة، إحياءً بتعارض النزعات الفكرية، والاتجاهات الاجتماعية، والحوافز السياسية.

إنّ المصالح المتضاربة هي التي ساهمت في تعزيز انقسام العالم إلى الشرق والغرب. وإنّ هذا الانقسام هو أيضاً نتيجة مباشرة من النتائج التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية (سعدي عبدالله، ٢٠١٥م: ٢٥).

يحدث أن يحتدم الخلاف بين الروسي والأمريكي بحيث «كلُّ منهما يقف موقفاً صلباً عنيفاً وكأنّما قد استحضّر في جسده الواحد عناد أمته بأسرها كل طاقتها على القتال... ولكن كلًّا منها مستعد أن يقتل الآخر مثلاً لو ظلّ الآخر على صلفه وعناده.. كلُّ منهما عنيد وصلب يريد أن يذبح الآخر ويصفي دمه، كلُّ منهما يعتقد أنه على حقّ وأنه لو تراجع قيد أنملة فكأنّما كرامة بلده وشعبه هي التي تتراجع» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٤-١٨٥). وشراسة الموقف بين الطرفين تستمر حتى يزعم كل واحد الحقّ معه وإذا مال الواحد عن حقّه كأنّه سحق كرامة شعبه تحت الأقدام وهذا جريمة لا تغفر.

ثانياً: المناظرات

والمناظرة هي علم يعرف به كيفية آداب إثبات المطلوب ونفيه أو نفي دليله مع الخصم، وموضوع هذا العلم البحث. وهي توجه الخصمين في النسبة بين الشئيين إظهاراً للصواب (التهانوي، ١٩٩٦م: ج٢/١٦٥٢)، «وهي تبادل الكلام والآراء المتعارضة في موضوع ما يثير الجدل، كبعض الموضوعات السياسية أو الأدبية» (وهبة والمهندس، ١٩٨٤م: ٣٩٠). هذا الشكل نعني به المناقشات أو المواجهات التي تؤدي إلى التغيير في التصورات والحوافز والبواعث. والحقيقة أنّ هذا الشكل من الصراعات يحتمل فيه التوصل إلى حلّ مقبول وملزم لطرف النزاع. إذا تفهّم كل طرف مواقف الطرف الآخر. وبالطبع فإنّ المناظرات تقدّم صورة تحليلية للتهديدات

والدفاعات والوعود ضمن استراتيجيات الدوافع المختلفة لطرفي النزاع. ومن أمثلة هذا الشكل، المناظرة بين الشيوعية والرأسمالية في القرن العشرين (هاشم، دون تا: المقدمة).

وقلنا سابقاً إنّه على أرض الواقع، اتسمت سنوات (١٩٥٦-١٩٦٩م) من الحرب الباردة بمرحلة التعايش السلمي. إذ تعتبر مدة انتقالية في سياق تطور الصراع بين الشرق والغرب. فشهدت العلاقات السوفيتية والأمريكية هدوءاً نسبياً في بداية هذه المرحلة ولاسيما في منتصف ١٩٥٨م، وقد ظهرت بوادر التعاون التجاري بعد أن أدرك الطرفان أنّ كلا الدولتين تمتلكان قوة اقتصادية كبيرة (سعدي عبدالله، ٢٠١٥م: ٤٥).

ومن هذه الحالة ما نشاهده في اجتماع ثلاثي تقني بين ماشا وبيل والمهندس المصري، حيث «مؤتمراً ظلّ ماشا في أوله ينظرُ شزراً وباحتقارٍ شديدٍ إلى بيل، وبيل يقابلُ نظراته بعينين كأنهما فوهتا مُسدّسين من مُسدّسات رُعاةِ البقرِ في أفلام السينما. ولكن الحقيقة أنّ تلك النظرات لم تستمرّ كثيراً فسرعان ما أدرك ماشا أنّ بيل يفهمُ حقيقةً الميكانيكا وأنّ الناس في الولايات المتحدة ليسوا جهلةً كما كان يظنّ، واكتشف بيل هو الآخر أنّ ماشا الروسيّ ليس مجرد أسطوانةٍ مُسجّلٍ عليها أقوال ماركس ولينين، وإنما هو آدمي أيضاً يفضّب أحياناً ويثور، وأحياناً يرضى ويبتسم، ابتسامةً صافيةً جداً كابتسامات الأطفال» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٢-١٨٣).

هذا الشكل من النزاع يهدم جدار الشكّ بحيث يلتقي البعض مع بعض آخر، ويتمّ التفاهم وتزول التصوّرات الخاطئة وتسير الأمور نحو السلام كما رأينا في المقطع السابق، حيث يتقمّص واحدٌ شعور الآخر وتهدر حالة النظرات البدائية ويشعر كلٌّ بإنسانية الآخر من خلال التفاوض، خاصّة أنّ الإنسان يعيش في داخله طفلاً بريء يبتسم ابتسامات طليقة صافية، ونلاحظ أنّه «بدأ الاثنان يتناقشان المناقشة الهندسية الخالصة وثبتت من المناقشة ومن الاحتكام للمقاسات، ومن التجربة العملية أنّ قطعة الغيار الأمريكية تصلح لتحلّ محلّ القطعة الروسية» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٣). المناقشة الهندسية الخالصة والاحتكام والتجربة هنا تدلّ كلّها على العقلانية الصرفة الذي تحتاج إليها المناظرات، ولكن لاستمرار حالة المناظرة، والهدنة، والتفاهم وتنشب المعركة وتضطرم من جديد، في ما بعد.

ثالثاً: المباريات

هذا الشكل من أشكال الصراع يفترض أنّ أطراف الصراع سوف يتبعون استراتيجيات

رشيدة خلال مرحلة الصراع. هذه الاستراتيجية قائمة على تحقيق أكثر المكاسب أو أقل الخسائر للاعب (هاشم، دون تا: المقدمة).

ويفترض تحليلُ المباراة وجودَ أربعة عناصر رئيسية: أ) اللاعبون: فاللاعب وحدة اتخاذ القرار المستقلة في المباراة. ب) القواعد: وهي تحدّد كيفية استخدام الموارد المتاحة في المباراة، حيث إنّها تحدّد لكلّ لاعب مدى الخيارات المتاحة أمامه. ج) الاستراتيجية: وهي تحدّد تحركات اللاعب في حالة تحرك الخصم في اتجاه. د) النتيجة أو المحصلة: التي يحصل عليها اللاعب كنتيجة لاتباعه استراتيجية معينة، ويعبر عن المحصلة عادةً بتعبير رقمي (هاشم، دون تا: المقدمة).

ومن المنطلق هذا، اللاعبون الأصليون في هذه القصة هم البطل الفعّال ماشا الروسيّ، وبيل الأمريكيّ النشيط والنمس التكنيكيّ المصريّ المنفعل كما يبدو من الظاهر إلّا في آخر القصة، وعبدالحميد المهندس المصريّ الذي يشرف على المعسكر ويمثّل التحيكم عند النزاع بين الطرفين الروسيّ والأمريكيّ. وجماعة من العمّال والموظّفين الذين يتفرّجون على النزاع القائم بين الروسيّ والأمريكيّ. أمّا المكنة وقطعة الغيار الروسية أو الأمريكية فهي قاعدة التحرك وإحضارها على وجه السرعة من قبل الشركة الأمريكية «انترناشيونال» استراتيجية تثير أطراف النزاع وتزداد التحركات. والنتيجة هي ما يحصل عليها كلّ من ماشا، وبيل، والنمس، ربحاً أو خسارة.

ويمكن تقسيم المباريات حسب المحصلة إلى شكلين أساسيين: المباراة الصفريّة والمباراة اللاصفريّة، كما يلي ذكرهما.

أ) المباراة الصفريّة: وهي المباراة التي تتعادل فيها مكاسب اللاعب الأوّل مع خسائر اللاعب الثاني أو العكس، بحيث يكون أي مكسب لأيّ طرف هو خسارة للطرف الآخر. وبالتالي فإنّ محصلة هذه المباراة هي الصفر. والحقيقة أنّ المباراة الصفريّة هي حالة من الصراع الدائم غير القابل للتوفيق. وفي العادة، أنّ كلّ لاعب مشترك في قضية دولية يرمي إلى تحقيق أقصى حدّ من المكاسب مقابل أقصى حدّ من الخسائر لخصمه (هاشم، دون تا : المقدمة). وبالتالي إنّ مكاسب أحد الطرفين سواءً الاقتصادية أو السياسية يعدّ خسارة للطرف الآخر. وبالعكس إذ كانت الخشية من اندلاع أي طرف لملء الفراغ على حساب الطرف الآخر والاستفادة من نتائجه لصالح حركته الاستراتيجية (سعي عبد الله، ٢٠١٥م:

(٣٦). ومثل هذه الحالة تشبه حالة العلاقة بين الروس والأمريكان خلال فترة الحرب الباردة، كما في هذه القصة.

على وشك إنهاء العملية وترك الحفر إذ «بين تهييص وطبل وأغان وفرحة، وصلت قطعة الغيار إلى المُعسكر ووصل معها المُستتر ولِيم... يظهر المُستتر بيل بالعربة وفوقها الصندوق الخشبي الضخم الذي يحوي قطعة الغيار» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨١). «في وقت كان المعسكر كله قد جاءه أمر بالاستعداد للرحيل وإنهاء العملية» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨١) وسرعة العمل في توريد القطعة، تعتبر حصيلة فوز برصيد واحد لوليم لاستراتيجية السرعة وحصيلة خسارة برصيد الصفر لماشنسكي الذي إنمّا كان يصرّ دائماً على صلاحية قطعة غيار روسية فحسب، دون غيرها.

وكذلك يحصل ولِيم على رصيد آخر «بينما كان ماشا يرفض ويصرّ على الرّفص كان العمّال يفكّون الأسلاك من حول الخشبة ويخرجون قطعة الغيار من الصندوق ويضعونها أمام ماشا قائلين: فلنُجرب» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٢). وهذا التّماذي في تركيب قطعة الغيار وتجريبها، يعتبر رصيماً آخر لوليم بمعاونة العمّال الذين وقفوا إلى جانب البطل الأمريكي، وأصبح الرّصيد اثنين على حساب ماشنسكي.

واللاعب الثالث وهو النمّس الذي لم يكن أحدٌ يلقي إليه بالأطول القصة، فاجأ النّاس: «على ضوء كلوب، وبمساعدة زميل له، قد قام من وراء بيل وماشو ومن وراء الباشمهندس، في الليل، بتركيب قطعة الغيار الأمريكية والتّصرف في أجزائها وصواميلها حتى طبقت تماماً المكنة الروسية. وعلى صوتها هبّ الجميع من النّوم غير مُصدّقين وتجمّعوا بعيون نصف مُغمّضة يرقبون المكنة الدائرة وبجوارها النمّس وعلى وجه الطّويل ترّسم ابتسامة ظفر عريضة والزيت يُقطر من سواعده وجبهته ويديه... وظلّت المكنة بعد هذا تدور. وإلى الآن وهي لاتزال دائرة. نصفها أمريكيّ ونصفها روسيّ، والذي يديرها هو النمّس بعينه وسُمّرتة، وينصر يُمناه المتبور» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٦). ونرى في هذا المقطع أنّ طرفي النزاع الرّوسيّ والأمريكيّ ومن معهم قد حاروا بمواجهة المكنة الدائرة غير مُصدّقين بهذا التّصرف. فهذا يدلّ على خسارة الرّوسيّ والأمريكيّ معاً. بينما تظهر أمارات الظفر في ابتسامة عريضة ترتسم على وجه النمّس إثر تشغيل المكنة العاطلة بحسن تصرّف وحصافة ولباقة. إذن هو يصبح الفائز الوحيد للمباراة دون غيره. والرّوسيّ والأمريكيّ خسرا المباراة نتيجةً لمراوغة

اللاعب الضعيف واختلاسه الفرصة رغم توقُّعها منه هذا النجاح. وهما في حيرة وغضب: «وَمِنْ بَيْنِ الْوُجُوهِ، مَثَاتِ الْوُجُوهِ، تَطَّلَعَ مَاشَا إِلَى بَيْلٍ، وَبَدَا مِنْ نَظَرْتَهُمَا الْمُتَبَادِلَةِ كَمَنْ سَيُوشِكَانِ عَلَى الْانْفِجَارِ ضِحْكَاً أَوْ غَيْظاً» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٦). إذن خسر الفريقان القويان الفرصة برصيد الصفر لحساب الفريق الضعيف وهو حسم المعركة بهذا النجاح المبالغت نهائياً برصيد نظيف.

(ب) المباراة اللاصفرية: هي بعكس المباراة الصفرية تفترض وجود مساحة واسعة للتنسيق والتعاون بين طرفي عملية الصراع. حيث أنهما قد يخسران أو يكسبان معاً (هاشم، دون تا: المقدمة).

ومثل هذا الموقف، نراه «كلما خرج ماشا من حُجْرَتِهِ أَوْ دَخَلَ لِابِدِّ يَلْمَحُ هَذَا الْعَدَدَ الضَّخْمَ مِنَ الْعَمَّالِ وَالظَّاهِرِ أَنَّ شَيْئاً قَدْ تَغَيَّرَ فِي تَفْكِيرِهِ. إِذْ فُوجئَ الْجَمِيعُ بِهِ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ قَائِلاً لِأَجْلِ خَاطِرِهِمْ فَقَطْ وَلِأَجْلِ أَنْ يَثْبِتَ لَهُمْ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ وَأَنَّهُ عَلَى خَطِّ سَيَجْرِبُ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ قِطْعَةَ الْغِيَارِ الْأَمْرِيكِيَّةِ...» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٢). وهذا الموقف اللين الذي يتخذه ماشا، يعتبر مساحةً لتسيق وتعاون بين طرفي النزاع الأصليين. إذن الحصيلة تصبح واحدة لحساب وليم وأخرى لحساب ماشا. فتأتي المباراة بالرصيد اللاصفري لكل من أطراف المناوئة وينحسر مدد العنف والشجار القائم. ومن إثر الموقف التعاوني «هاصّ المعسكرُ فجأةً» (إدريس، ١٩٩٠م: ١٨٢) نتيجة التوافق بينهما.

وقلنا إن التفاهم والتقارب بين السوفيتية والأمريكية حصل فعلاً على أرض الواقع، واتسمت سنوات (١٩٥٦-١٩٦٩م) من الحرب الباردة بمرحلة التعايش السلمي. إذ تعتبر مدة انتقالية في سياق تطور الصراع بين الشرق والغرب. فشهدت العلاقات السوفيتية والأمريكية هدوءاً نسبياً في بداية هذه المرحلة ولاسيما في منتصف ١٩٥٨م، وقد ظهرت بوادر التعاون التجاري بعد أن أدرك الطرفان أن كلا الدولتين تمتلكان قوة اقتصادية كبيرة (سعدى عبدالله، ٢٠١٥م: ٤٥).

الحل النهائي للنزاع

يتراءى لنا مروراً على العناوين السابقة أن الحل النهائي والحسم القاطع للنزاع تم بيد محيي الدين الملقب بالنمس - كما قيل إنّه حلّال المشاكل خلال القصة - إذ هو فاجأ طرفي النزاع الأصليين (ماشنسكي و، وليم) وسائر العمال والموظفين (الخمسائة عامل والخمسين

موظفًا وتكنولوجياً) بتركيب قطعة الغيار الأمريكية على المكنة الروسية العاطلة وتشغيل تلك المكنة اعتماداً على مقدراته الذاتية دون استشارة الطرف الأجنبي بحيث أثار هذا الإنجاز الناجح إعجاب طريفي النزاع وغيظهما معاً.

على الصعيد الواقعي، رفض جمال عبدالناصر الشروط الأمريكية المخزية، ومنها حلّ السلام مع إسرائيل، وعمل في توحيد العرب وتقبل الدعم الاشتراكي، واستغل الفرصة المتاحة له من نشوب الاختلافات الاستراتيجية، بين الإدارة الأمريكية والسوفيتية لأجل بناء مصر وتطوير حياتها، كما يرمز إليه النمس في هذه القصة القصيرة. وربما هذه هي الرمزية الباهتة والمطوية في القصة.

النتائج

في الساحة الواقعية، كشفنا عن النزاع السياسي بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة أيام الحرب الباردة، وعلاقتها مع بلدان العالم الثالث في أنحاء العالم والشرق الأوسط، ومنها مصر خاصةً. ولاحظنا أن أبطال القصة وأحداثها تنطبق على هذا الواقع في كل زواياه. ومن خلال دراسة القصة رأينا:

- أن النزاع يشكّله أساساً طرفان روسي اسمه (ماشيا) وأمريكي يدعى (بيل) رمزاً لغطرسة الدول المهيمنة، أيام الحرب الباردة. وهناك طرف ثالث يتعمد الكاتب كتمان تسميته بداية القصة وهو محيي الدين (النمس) الذي يمثل الدول الضعيفة ولكن الجريئة أحياناً، بتصرف مفاجئ للجميع.
- أنه يتمّ النزاع في شبه جزيرة سيناء رمزاً لمحلّية المكان الذي يختار الكاتب مصريته، وذلك داخل ملعب محدود الإطار كالمعسكر في هذه الجغرافية الشرقاوسطية.
- أن المناخ هو المناخ السياسي الساخن فيه القلق الحادّ والتدهور الاجتماعي المضطرم. والمضمون الأصلي في هذا المناخ يدور على النزاع بملامحه وأشكاله الخاصة.
- أن من ملامح النزاع مشادةً لفظية دائرة بين طريفي النزاع الروسي والأمريكي عندما يعجزان عن حسم الخلاف وذلك لصلفية الطرف الروسي وإصراره على تركيب قطعة الغيار بوحده دون غيره. وذلك دليل على تأزم الموقف والنأي عن الحلّ السلمي.
- أنه يأتي النزاع على ثلاثة أشكال، منها المعارك، والمناظرات، والمباريات.

حصلت بشكل المباراة الصفرية (ربح واحد وخسارة آخر) واللاصفرية (ربح لطرفين أو خسارة لطرفين معاً). المعارك تنتهي دائماً إلى انفصال المواقف بصورة دائمة ومستمرّة بين ماشا وبييل. وفي المناظرات قد تقترب المواقف دون أن تدوم حالة السلم والهدنة كما يسعى عبدالحميد في هذا السبيل بكلّ جهده ليجمع بين الطرفين في ندوة واجتماع، لو تنازل واحد لصالح الآخر، ولكنّه يعجز نهائياً وبيوء سعيه بالفشل. وفي المباراة يقصد الطرفان الحصول على مكاسب وأرصدة على حساب خصمه في النزاع، كما يجري بين ماشا وبييل.

- أن المكاسب في المباراة لاتلفت النظر لأنّ القارئ الملاحق للأحداث لا يرى مكسباً غالباً لصالح واحد دون الآخر، بشكل ملموس. وما يكسبه الروسيّ أو الأمريكيّ لا يدوم ولا يستمرّ غير أنّه يزول نتيجة التصرفات اللاعقلانية. المكسب الواقعي في هذه القصة هو حليف اللاعب والبطل المصريّ التكنيكيّ (النمس) عندما يتمكّن من تشغيل المكنة بين حيرة الروسيّ والأمريكيّ ومن معهما من العمّال والموظّفين بتصرفه الجريء المباغت. إذن، فإنّ المباراة انتهت إلى خسارة الروسيّ والأمريكيّ معاً. وإنّ الرباح الوحيد وصاحب الحظّ الكبير هو محيي الدين (النمس) التكنيكيّ والمكانيك المصريّ المبتور البنصر، الذي لم يأبه به أحدٌ من الحضّار في هذا المناخ السياسي.

المصادر والمراجع

١. أحمد، حسن غريب (دون تا). التقنيات الفنيّة والجمالية المتطوّرة في القصّة القصيرة. نسخة الكترونية، القاهرة.
٢. إدريس، يوسف (١٩٦٥م). نحن والتّجديد في الفن، مجلّة الكاتب، العدد ٥٠، مايو.
٣. _____ (١٩٩٠م). الأعمال الكاملة، القصص القصيرة (١). بيروت: دار الشروق.
٤. التهانوي، محمد علي (١٩٩٦م). موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
٥. خدّوري، مجيد (١٣٦٦ش). گرايش هاي سياسي در جهان عرب. ترجمة عبد الرحمن عالم، طهران: دفتر مطالعات سياسي وبين المللي.
٦. خفاجي، محمد عبد المنعم (١٩٩٥م). مدارس النقد الأدبي الحديث. القاهرة: دار المصرية اللبنانية.
٧. سرحان، سمير (١٩٩٨م). على مقهى الحياة. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر.
٨. سعادت مند، ابوالحسن (١٣٤٦ش). جنگ سرد. طهران: انتشارات دانشگاه تهران.
٩. سعدي عبدالله، إيناس (٢٠١٥م). الحرب الباردة: دراسة تاريخية للعلاقات الأمريكية السوفيتية. بغداد: منشورات آشور بانبيال للكتاب.
١٠. شكري، غالي (١٩٩١م). أزمة الجنس في القصّة القصيرة العربية. بيروت؛ القاهرة: دار الشروق.
١١. عبدالرزاق، محمد محمود (٢٠٠٦م). فن معاشية القصّة القصيرة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٢. علوش، سعيد (١٩٨٥م). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
١٣. عوض، لويس (١٩٦٦م). دراسات في النقد. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
١٤. عياد، شكري محمد (١٩٩٤م). تجارب في الأدب والنقد. ط ٢، القاهرة: دار الكاتب العربي.

١٥. الكومي، محمد شبل (٢٠٠٣م). النظريات الأدبية: دراسة في الأدب المصري المعاصر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٦. لافيير، والتر (١٣٧٦ش). پنجاه سال جنگ سرد از غائله آذربایجان تا سقوط گورباچف. ترجمه منوچهر شجاعی، طهران: نشر مرکز.
١٧. نوفل، يوسف (١٩٨٨م). الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٨. الورقي، السعيد (١٩٩٠م). مفهوم الواقعية في القصة القصيرة عند يوسف إدريس. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
١٩. وهبة، مجدي؛ المهندس، كامل (١٩٨٤م). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. ط ٢، بيروت: مكتبة لبنان.
٢٠. هاشم، حامد أحمد مرسي (دون تا). نظرية المباريات ودورها في تحليل الصراعات الدولية مع التطبيق على الصراع العربي الإسرائيلي. القاهرة: مكتبة مدبولي.

